طاهر الجزائري وحلقة دمشق الكبرى

رغداء محمد أديب زيدان

طاهر الجزائري وحلقة دمشق الكبرى

رغداء محمد أديب زيدان

أريد في هذا البحث تسليط الضوء على شخصية الشيخ طاهر الجزائري, وعلى واحد من أعماله المهمة, وهي حلقة دمشق الكبرى, في محاولة لبيان أهمية هذا العمل, وأهم نتائجه سواء على المستوى الفردي للمشاركين فيها, أم على مستوى المجتمع في ذلك الوقت.

وسأبدأ بتذكير مختصر بسيرة الشيخ طاهر, ثم سأتحدث عن أفكاره السياسية والاجتماعية لأستطيع بعدها القيام بعرض تفصيلي لحلقة دمشق الكبرى: نشأتها, أهدافها, أعمالها, المشاركون فيها, تأثيرها ونتائجها. وفي النهاية سأقدم تقييماً لهذه الحلقة وما يمكن أن نستفيده من الدراسة.

من هو طاهر الجزائري؟

هو طاهر بن محمد صالح بن أحمد بن موهوب السّمعوني الجزائري، ولد سنة 1268 / 1852. هاجر والده إليها سنة 1263هـ، وكان من قضاة المالكية في الجزائر, وعندما استقر في دمشق أصبح مفتياً للمالكية فيها([1]).

ولد الشيخ طاهر في دمشق, ودرس في مدارسها, حيث دخل إلى المدرسة الجقمقية([2]), وتخرّج على يد الشيخ عبد الرحمن البوشناقي([3]), فأتقن العربيّة والفارسيّة والتّركيّة ومبادئ العلوم المختلفة.

ثم اتصل بالعالم الشيخ عبد الغني الميداني([4]), وكان له تأثير كبير على شخصية الشيخ طاهر, وقد أنشأه على الأصول العلمية الصحيحة, ومحاربة الخرافات, والتسامح الديني. ويذكر أن الشيخ عبد الغني الميداني قد حال سنة 1860م بدمشق, دون تعدي فتيان المسلمين على جيرانهم المسيحيين, فأنقذ ألوفاً من القتل في تلك الفتنة المشؤومة([5]).

وقد تأثر الشيخ طاهر به, فكان يأخذ من أصل الشريعة باجتهاده الخاص, ولا يعادي أئمة المذاهب المعروفة, وكان من عادته أن يصحب أصحاب الفرق المختلفة مهما كانت طريقتهم, ولطالما أعطى الحق لعلماء الشيعة أو الإباضية وغيرهم([6]).

تعلّم الشيخ طاهر الفرنسيّة والسّريانيّة والعبرانيّة والحبشيّة والبربريّة. وتولى التعليم لأول أمره في المدرسة الظاهرية الابتدائية. وكان عضواً في (الجمعية الخيرية) التي أُسست سنة 1294هـ ([7]), والتي استحالت إلى (ديوان معارف), في عهد والي الشام مدحت باشا([8]).

ثم عُيّن مفتشاً عامّاً على المدارس الابتدائية في عام 1295هـ, فألّف كتب التدريس للصفوف الابتدائية في جميع الفروع, منها: «مدخل الطّلاب إلى علم الحساب», و«رسالة في النّحو»,

و«منية الأذكياء في قصص الأنبياء», و«الفوائد الجسام في معرفة خواص الأجسام», و«إرشاد الألباء إلى تعليم ألف باء», وغيرها كثير([9]). وعمل على افتتاح كثير من المدارس الابتدائية, حيث تم افتتاح تسع مدارس في مدينة دمشق منها اثنتان للإناث. فجعله الوالي مفتشاً عاماً للمعارف في ولاية سوريا. فكان يعمل على توعية الناس, ونشر العلم ومحاربة الخرافة, والاعتزاز بالعروبة والإسلام([10]).

أنشأ المكتبة الظّاهريّة([11]), والمكتبة الخالدّيّة([12]) في القدس. وتحمّل في سبيل ذلك عداوة الكثيرين ممن استحلوا أكل الكتب والأوقاف.

وفي سنة 1316هـ / 1898م, عُيّن مفتشاً على دور الكتب العامة, وظل في وظيفته تلك أربع سنوات, ولكنه أثار حفيظة الأمن بسبب نشاطه وأفكاره التي كان يسعى لبثها في عقول طلابه ومريديه, حتى هاجم الأمن بيته وعاثوا فيه فساداً, فاضطر إلى التواري عن الأنظار, وأخيراً قرر الهجرة إلى مصر, فوصلها سنة 1325هـ / 1907م, وسكن في بيت صغير واجتنب الناس إلا بعض العلماء الذين اتصلوا به بغية الإفادة من علمه([13]).

أولع الشيخ طاهر باقتناء المخطوطات, وحافظ عليها إلى أن ألجأته الظروف إلى بيع بعضها للإنفاق على نفسه, رافضاً مبادرات قام بها بعض أصدقائه وطلابه لمساعدته, منعته من ذلك عزة نفسه, وعفته.

يذكر محب الدين الخطيب([14]) وهو أحد تلاميذ الشيخ طاهر, أنه حاول مساعدة الشّيخ طاهر عندما ألجأت الحاجة هذا الشّيخ إلى بيع مخطوطاته ليعيش بثمنها، فتوسّط له مع بعض معارفه لدى الخديوي لإجراء راتب للشّيخ من الخزينة الخاصّة، فرفض هذا بإباء. وقال السّيّد محب الدّين معلّقاً على هذه الحادثة: «فظهر لي أنّني لا أزال أجهل تلك النّفس الكبيرة, رغم معرفتي بصاحبها منذ طفولتي، فقد غضب الشّيخ طاهر من هذه الحادثة غضباً لم أعهده فيه من قبل»([15]).

وقد ذُكرت حوادث أخرى عن زهد الشيخ, وهي تظهر لنا جانباً مهماً من شخصية هذا العالم الفذ, فبالإضافة لزهده, فقد منعته عزّته وصدقه ورغبته بعدم مصانعة الحكام عن قبول مثل هذه العطايا([16]).

أمضى أيامه في القاهرة في التأليف والبحث العلمي. وكان له مراسلات مع المستشرقين من مختلف الجنسيات, وشارك في تحرير بعض الصحف.

وظل في القاهرة إلى سنة 1918م, حيث قرر العودة إلى دمشق بعد قيام الدولة العربية, ولكن المرض أخرّه, فعاد إلى دمشق سنة 1919م, وعُيّن مديراً لدار الكتب الظاهرية التي أسسها, وعضواً في المجمع العلمي العربي بدمشق.

وبعد أربعة أشهر من عودته توفي في 14 ربيع الآخر, 1338هـ / 5 كانون الثاني سنة 1920م, ودفن في سفح قاسيون تنفيذاً لوصيته([17]).

تمتع الشيخ طاهر بصفات مميزة, وغريبة, جعلت منه شخصية مختلفة ملفتة, وقد ذكر معاصروه كثيراً منها, وهي تدل على علو مكانته وطرافته([18]).

أفكاره في السياسة والاجتماع:

كان الشيخ طاهر من الإصلاحيين الإسلاميين. وقد شعر بمدى الانحطاط الذي تعاني منه الأمة, وأرجع سبب ذلك للاستبداد العثماني, والفساد وسوء الإدارة العثمانية.

وكان يسعى للعمل على نهضة الأمة وذلك بالأخذ بالعلم والمعرفة والأخلاق الفاضلة وأسباب الحضارة, دون التخلي عن الدين الإسلامي, بل إنه كان يؤمن بعظمة هذا الدين وصلاحه لكل زمان ومكان. ومن خلال ما عرضناه من سيرته, نجد أنه:

1 . اهتم بالعلم والتسلح به, وكان يمضي وقته كله في العلم والبحث, عاش حياته وحيداً ولم يتزوج، متفرغاً لتحصيل العلوم وتعليمها. وكان يهتم بالناشئة ويشجعهم على طلب العلم والبروز فيه ويحاول التيسير عليهم, وعدم تنفيرهم من طلب العلم. ومما نُقل عنه أنه كان يرشد تلاميذه قائلاً: «إن جاءكم من يريد تعلم النحو في ثلاثة أيام فلا تقولوا له إن هذا مستحيل بل علموه, فلعل اشتغاله هذه الثلاثة الأيام بالنحو, تحببه إليه»([19]). ولا يخفى علينا ما لهذا الإرشاد من فائدة عظيمة في بث الثقة في النفوس وتشجيعها على طلب العلم.

كما أنه اهتم بإصلاح التعليم, وافتتاح المدارس المتنوعة, وخصوصاً الابتدائية منها, رغبة منه في نهضة الأمة ورقيها. حيث كان يؤمن إيماناً راسخاً بأن نهضة الأمة هي في العلم.

2 . اهتم باللغة العربية والتاريخ الإسلامي. يصف لنا أحد تلاميذه المقربين, وهو محب الدين الخطيب, أنه أحب اللغة العربية والعرب من أستاذه الشيخ طاهر.

يقول محب الدين: «من هذا الشّيخ الحكيم عرفت عروبتي وإسلامي، منه عرفت أنّ المعدن

الصّدئ الآن الّذي برأ الله منه في الدّهر الأوّل أصول العروبة، ثمّ تخيّرها ظئراً للإسلام, إنّما هو معدن كريم, لم يبرأ الله أمّة في الأرض تدانيه في أصالته»([20]).

وقد استطاع الشيخ طاهر إقناع الوالي بضرورة تعليم العلوم باللغة العربية([21]).

واهتمام الشيخ طاهر باللغة العربية والتاريخ الإسلامي, هو اهتمام بالإسلام نفسه, وقناعة منه أن النهضة المرجوة لا تعني بأي حال من الأحوال نبذ الهوية العربية والإسلامية.

3 . اهتم الشيخ طاهر بتعلم العلوم العصرية واللغات الحية. لأن ذلك أحد أدوات النهضة. فالتعرف على تلك العلوم واللغات مهم جداً لمواكبة ركب الحضارة.

يقول محمد كرد علي([22]): «اتسع صدر الشيخ لجماع علوم المدنية الحديثة إلا الموسيقى والتمثيل فلم يكن له حظ فيهما, ... وسياسة الشيخ في التعليم محصورة في تلقف المسلمين أصول دينهم, والاحتفاظ بمقدساتهم وعاداتهم الطيبة وأخلاقهم القديمة القويمة, وأن يفتحوا قلوبهم لعامة علوم الأوائل والأواخر, من فلسفة وطبيعي واجتماعي على اختلاف ضروبها»([23]).

كما أن الشيخ طاهر اهتم بالصحافة والأدب ونشر الكتب والمؤلفات المفيدة.

4 . دعا الشيخ طاهر إلى إصلاح العادات, وحارب الخرافات والخزعبلات. وكان يقف بشجاعة في وجه الجمود والتحجر, ويدعو إلى بذل الجهد لنهضة الأمة قدر المستطاع, كما أنه دعا إلى استخدام وسائل الاتصال المتاحة في عصره لتوعية الناس, وردهم إلى جادة الصواب.

وفي رسالة بعثها لتلميذه محمد كرد علي تظهر لنا نظرته لخطة الإصلاح حيث يقول: «ومما يهم الأمر فيه إصلاح العادات, فإن في الشرق كثيراً من العادات التي ينبغي إبطالها كما أن فيه كثيراً من العادات التي ينبغي المحافظة عليها. غير أنه لا ينبغي أن يستعمل التنكيت في ذلك, بل يستعمل مجرد البيان الدال على حسن الشيء أو قبحه ..... ومن العادات الرديئة جداً أن الكاتب قد يمكنه أن يكتب في إصلاح عادة لكنه يرى أن الكلام في ذلك يكفي عشرة أسطر فيرى الناس يزدرون بذلك وينسبونه لقلة القدرة على الإنشاء فيترك الكتابة فيه, أو يسهب إسهاباً لا داعي له ..... فينبغي أن يكون في المجلة ولو مقدار صفحة تبحث في العادات على اختلاف أنواعها, وتعليم ذلك للبنين والبنات»([24]).

5 . كان الشيخ طاهر ضد الحكم الاستبدادي, لذلك فقد عادى حكم السلطان عبد الحميد([25]), فقد دعا الحكومة إلى الإصلاح والعدل والشورى وحرية التعليم وحرية الصحافة, مما جعل السلطات

العثمانية تلاحقه وتضيق عليه حتى اضطر إلى الهرب إلى مصر كما رأينا.

وعندما تم الانقلاب على السلطان سنة 1908م, فرح به الناس وهللوا له, ولكن الشيخ لم يفرح به, ولم يثق بمن قاموا به, وكان يقول: «وما هذا الانقلاب الخلاب إلا انتقال من نير استبداد الفرد إلى نير استبداد الجماعات»([26]). وبالفعل فقد صدقت رؤية الشيخ طاهر, وكان الانقلابيون أكثر استبداداً من السلطان نفسه, وهذا كان من الأسباب القوية لقيام الثورة العربية الكبرى, والتي فرح بها الشيخ وشجعها كثيراً, لأنه كان يعتبرها خطوة ضرورية لنهضة الأمة العربية. وساند الحكم العربي في دمشق, وكان يدعو الناس إلى الدفاع عن هذا الاستقلال([27]).

لقد أخذ كثير من الناس, قديماً وحديثاً, على رجال العرب قيامهم بالثورة العربية الكبرى في عام 1916م. واعتبروا تاريخ سقوط الخلافة العثمانية تاريخ شؤم, جر على الأمة ويلات الاستعمار الأوربي, الذي ما زلنا نعاني من تبعاتها حتى اليوم. ولكن نظرة إلى سوء الإدارة العثمانية, وتسلط الحكام واستبدادهم, وتجهليهم للأمة, يجعلنا نجد العذر لهؤلاء, ولا نلومهم لثقتهم بوعود الغربيين, لأنهم كانوا يرونهم أهل حضارة فوثقوا بهم وبوعودهم.

وهذا الشيخ طاهر نفسه على ما يذكر طلابه, كان واحداً من المعجبين أشد الإعجاب بالإنكليز, وخصائصهم, وسياستهم, وكان حسن الظن بوعودهم ومواعيدهم, يدل على ذلك كثير من أقواله وأفعاله. وقد نشر محمد كرد علي رسالة كان قد بعثها الشيخ طاهر إلى «مس بل» أمينة سر حاكم العراق, يقدم فيها بعض النصائح للإنكليز ليحسنوا تعاملهم مع أهل العراق([28]), ظناً منه أن هؤلاء كانوا فعلاً حملة حضارة ورعاية ولم يكونوا مستغلين مخادعين.

لذلك فقد كان لانبهار كثير من هؤلاء الرجال بالحضارة الغربية دور كبير في رغبتهم بتلقفها ونقلها إلى بلادنا, والتمتع بالحرية والديمقراطية والمظاهر الحضارية الأخرى التي كانوا يتمنونها. ولم يجدوا غضاضة من التعاون مع الغربيين, طالما أن هدف هذا التعاون هو نهضة الأمة. بالطبع فإن هذا لا يلغي وجود فئة عملت على مساعدة الغرب بعمالة مقصودة, ولا تخلو أمة من خونة عملاء, إلا أنه من الظلم الكبير وصف كل من اشترك بهذه الثورة, أو روّج لها, أو فرح بها بالعمالة للاستعمار, والعمل على هدم الخلافة.

حلقة دمشق الكبرى:

عاش الشيخ طاهر في فترة مظلمة من تاريخ بلاد الشام خاصة والعالم الإسلامي عامة. وكان يعرف الفرق الشاسع بين موات الأمة العربية والإسلامية وبين الحضارة الغربية. لذلك فقد سعى إلى العمل قدر استطاعته من أجل نهضة هذه الأمة, التي كان يؤمن بعزتها وبخصائصها العظيمة.

وقد وصفه محب الدين الخطيب بأنه: «كان يعرف مواطن الداء في الدولة العثمانية, وفي الأمة التي أوقعها سوء الحظ تحت سلطانها, فكان بسبب ذلك يقدّر صعوبة موقفه, وما يمكن أن يتهدد حياته من خطر لو جاهر بكل ما يعرف, لذلك نصّب نفسه ميزاناً للحق»([29]).

ورغم كل ما كان يلمسه الشيخ طاهر من تدهور في حال الأمة, إلا أنه لم يكن قانطاً من التحرر أو يائساً من الإصلاح, وإنما كانت ثقته قوية بمستقبل الأمة العربية واستعدادها للنهوض من عثرتها متى أخذت بأسباب العلم ونشأ أبناؤها على التربية القومية التي تقوي القلوب وتشحذ العزائم([30]).

وكما رأينا فإن الشيخ طاهر كان يؤمن بالعلم وسيلة للنهضة, ولكنه لم يكن يرى أن معرفة العلوم كافية ما لم يرافقها إصلاح للعادات الرديئة والمظاهر الانحطاطية.

والشّيخ طاهر كان «يرى أنّ الدّولة العثمانيّة موشكة على الانهيار, فيدعو العرب إلى التّأهّب بالعلم والأخلاق والتّجدد والتّحفّز, لنيل استقلالهم وصون بلادهم من أن تبتلعها حيتان الاستعمار, حتّى تقوّضت دعائمها, وتداعت عليها الأمم لاكتسابها واقتسام بلادها»([31]). وراح يبثّ هذه الأفكار بين طلّابه ومريديه, وكان إخلاصه وثقافته العالية قد جعلا كلّ من يميل إلى الثّقافة والعلم والتّحرر يتقرّب منه وينهل من علمه. ولم يكن الشّيخ طاهر يفرّق بين أحد من هؤلاء, لا بسبب الدّين ولا المذهب ولا غير ذلك, مما جعل له شهرة كبيرة في الشّام.

وقد كان للشيخ طاهر طبقة من أقرانه النبهاء والمفكرين, على رأسهم الشيخ جمال الدين القاسمي إمام الشّام في عصره علماً بالدّين وتضلّعاً من فنون الأدب, وقد ولد في دمشق سنة 1283/1866, وكان له نشاطات كبيرة, فقد رحل إلى مصر, وزار المدينة, ونشر بحوثاً كثيرة في المجلّات والصّحف. وله مصنفات منها: «دلائل التّوحيد», و«ديوان خطب» وغيرها. وقد توفّي, رحمه الله, سنة 1332/ 1914([32]).

ومنهم أيضاً الشيخ عبد الرزاق البيطار , من علماء دمشق الكبار, وقد ولد فيها سنة 1253 / 1837, واشتغل بالأدب مدّة, له نظم وقصائد, ثم اقتصر في آخر أمره على علمي الكتاب والسّنة, وكان من دعاة الإصلاح. من أهمّ كتبه, كتاب «حليه البشر في تاريخ القرن الثّالث عشر», وقد توفّي في دمشق سنة 1335 / 1916 ([33]).

ومن أصدقاء الشيخ طاهر أيضاً الشيخ سليم البخاري, وهو عالم أديب. ولد بدمشق 1268هـ/ 1851م، وتولى الإفتاء بالجيش العثماني، وبعد انقضاء الحرب العالمية الأولى عين عضواً في

مجلس الشورى، فعضواً بمجلس المعارف الكبير، فرئيساً للعلماء، وانتخب عضواً بالمجمع العلمي العربي. من مؤلفاته: «رسالة في آداب البحث والمناظرة»، و«حل الرموز في عقائد الدروز» وغيرها. وتوفي بدمشق في 10 جمادي الأولى 1347هـ / 1928م([34]).

كان هؤلاء العلماء وغيرهم يجتمعون بالشيخ طاهر, ويعقدون حلقات العلم والمدارسة, وانضم إليهم فيما بعد عدد كبير من شباب العرب النابهين نذكر منهم:

رفيق العظم، العالم البحّاث, من رجال النّهضة الفكريّة في سوريّة، ولد في دمشق 1284 / 1867، واستقر في مصر, واشترك في كثير من الأعمال والجمعيّات الإصلاحيّة والسّياسيّة والعلميّة. صنّف كتابه المشهور «أشهر مشاهير الإسلام في الحرب والسّياسة»، وكتاب «البيان في كيفيّة انتشار الأديان», وغيرها. وقد أهدى خزانة كتبه للمجمع العلمي العربيّ بدمشق وهي نحو ألف مجلد، توفّي سنة 1343/ 1925([35]).

ومنهم الدكتور عبد الرحمن الشهبندر, وقد ولد في دمشق عام 1879م, ودرس في الكليّة السّوريّة الإنجيليّة في بيروت, وتخرّج من كليّة الطّب عام 1906م, كان من الخطباء المفوّهين, ومن رجال الوطنيّة والقوميّة, هرب من جمال باشا عام 1915م, وعاد إلى دمشق مع دخول قوات فيصل, شارك كوزير للخارجيّة في الحكومة الفيصليّة, وحكم عليه بالإعدام, وقد اغتيل عام 1940م, من «كتبه القضايا الاجتماعيّة الكبرى»([36]).

ومنهم كذلك, عبد الحميد الزهراوي, من زعماء النّهضة السّياسيّة في سوريا, وأحد شهداء العرب في عاليه, ولد في حمص, وأصدر صحيفة المنير, كتب في المقطّم. ورئس المؤتمر العربيّ الأوّل في باريس فحُكم عليه بالإعدام. له رسالة «الفقه والتّصوف», وكتاب «خديجة أمّ المؤمنين» وغيرها([37]).

وكان منهم سليم الجزائري, القائد عسكري، عارف باللغات العربية والتركية والفارسية الفرنسية والانكليزية. ولد بدمشق عام 1296/ 1879, وتعلم في المدرسة العسكرية، ومدرسة الهندسة البرية بالقسطنطينية وبلغ رتبة قائم مقام أركان حرب في الجيش العثماني، وحكم عليه بالموت بعاليه في لبنان فأعدم سنة 1334/ 1916. من آثاره: كتاب في المنطق سماه «ميزان الحق»([38]).

ومنهم الوطني فارس الخوري, وقد ولد في 20 من تشرين الثاني 1873م في قرية الكفير بمنطقة حاصبيا, دخل الكلية الأمريكية، وحاز على بكالوريوس في العلوم عام 1897م, درس اللغتين الفرنسية والتركية وحده بدون معلم. امتهن المحاماة وتقدم بفحص معادلة الليسانس بالحقوق، فنالها. في عام 1914م فاز بالنيابة عن دمشق في مجلس المبعوثان. وفي عام 1917م اعتقله

جمال باشا بتهمة تعامله مع فيصل بن الحسين، ثم قرر نفيه إلى استنبول. وفي عام 1919م عُيّن عضواً في مجلس الشورى، وهو الذي اقترح على الشريف فيصل تأسيسه. تولى عدة وزارات وشارك في تأسيس حزب الشعب, والكتلة الوطنية. توفي في الثاني من شهر كانون الثاني لعام 1962م([39]).

ومن هؤلاء الشباب أيضاً عبد الوهاب المليحي الشهير بالانكليزي, من قرية المليحة في غوطة دمشق. وهو حقوقي، إداري، مؤرخ، عارف باللّغات الفرنسية والانكليزية والتّركية. عين «قائم مقاماً» في عدة أقضية, ثم استقال, وتعاطي المحاماة بدمشق. ثم نصب مفتشاً للإدارة الملكية في ولاية بيروت ثم في بروسه، وسافر إلى القسطنطينية. حكم عليه بالإعدام بحجّة معارضته للاتحاديين، فقتل شنقاً بدمشق سنة 1916م. من آثاره: كتاب في التّاريخ العام([40]).

وكان منهم محب الدين الخطيب ومحمد كرد علي, وقد تقدمت ترجمتهما سابقاً. وغيرهم من الشباب المهتم النابه.

وقد تألف من جماع هؤلاء الشيوخ المفكرين والشباب النابهين أكبر حلقة أدبية ثقافية, كانت تدعو إلى تعلم العلوم العصرية, ومدارسة تاريخ العرب, وتراثهم العلمي, وآداب اللغة العربية, والتمسك بمحاسن الأخلاق الدينية, والأخذ بالصالح من المدنية الغربية([41]).

وكانت هذه الحلقة تجتمع في كل أسبوع من بعد صلاة الجمعة في منزل رفيق العظم. وكان مجلس هذه الحلقة يستعرض كل ما يهم المفكرين استعراضه عن الحركة العلمية والفكرية والسياسية خلال الأسبوع, وكان الشيخ طاهر هو الذي يوجههم, ويصحح لهم, ويوقظهم لما خفي عليهم من أسباب الإصابة بالرأي([42]).

سميت هذه الحلقة بحلقة دمشق الكبرى, وقد راح الشيخ طاهر ورجال حلقته ينددون بالحكام واستبدادهم, وينتقدون سوء الإدارة, ويدعون إلى الحرية والعدل والنظام, فاتهموا بالخيانة الوطنية, والعمل على فصل سورية عن بقية السلطنة العثمانية. وبالمقابل فقد قامت الحكومة بإلغاء منصب الشيخ طاهر الحكومي, وعرقلت أعمال الجمعية, ولاحقت أعضاءها, الذين وجدوا تضييقاً كبيراً, وقامت السلطات بتفتيش منازلهم, فاضطر بعضهم للهرب وكان على رأسهم الشيخ طاهر ([43]).

وعندما غادر الشّيخ طاهر دمشق متوجّهاً إلى مصر للإقامة فيها, خلّف وراءه «ثورة فكريّة تسري تحت الرّماد, وسرعان ما وجدت هذه الثّورة متنفّساً لها في الانقلاب العثمّاني, سنة 1908م»([44]).

شجّع هؤلاء المفكّرون غيرهم من شباب العرب, وغرسوا في عقولهم وقلوبهم حبّ التّحرر,

والاعتزاز بالأمّة العربيّة, وبماضيها الحافل بالبطولة والعزّ والمجد. وقد تأثّر الشّباب بدعوتهم هذه, وألّفوا الجمعيّات السّريّة, الّتي اتّخذت من أفكار هؤلاء المصلحين مستنداً لها للمطالبة بحقوق العرب, وبالتّالي القيام بالثّورة العربيّة الكبرى.

من هذه الجمعيات نجد جمعية عُرفت بحلقة دمشق الصّغيرة ([45]) تمييزاً لها عن الحلقة الكبرى, وقد أسسها محب الدين الخطيب مع صديقه الشهيد عارف الشهابي([46]). وفي هذه الحلقة كان يجتمع هذان الصديقان مع مجموعة من رفاقهما, ويقرؤون من الكتب ما يقوّي عقيدتهم القوميّة. ومن هذه الحلقة انبثقت جمعيّة النّهضة العربيّة التي تأسست في السّابع من ذي القعدة من عام 1324 الموافق 24 أيلول 1906م في استنبول, على يد محب الدين الخطيب وعارف الشهابي. وأسموها جمعيّة النّهضة العربيّة. وكانت غايتها إحياء اللّغة العربيّة والأخلاق الفاضلة, وافتتحت فرعاً لها في دمشق([47]).

وقد قام بعض أعضاء هذه الجمعية بتأسيس جمعيات أخرى كان لها أثر كبير في التاريخ العربي الحديث, وفي تاريخ القومية العربية. من هذه الجمعيات نذكر المنتدى الأدبي الذي قام بتأليفه بعض أعضاء جمعية النهضة. وهناك أيضاً حزب اللامركزية الإدارية العثماني الذي كان من مؤسسيه محب الدّين الخطيب, ورفيق العظم, وعبد الحميد الزّهراوي. وكذلك جمعية الشورى العثمانية, وكان من أعضائها رفيق العظم ومحب الدين الخطيب وغيرهم. كذلك الجمعية الأشهر العربية الفتاة, وكان من أعضائها كثير من تلاميذ الشيخ طاهر ومن أعضاء جمعية النهضة العربية.

وكان من نتائج اجتماع هذه الأحزاب والجمعيات عقد المؤتمر العربي الأول في 18 حزيران سنة 1913م في باريس, وخرج المؤتمرون بمقررات هامّة, تؤكّد مبادئ الجمعيّات السّابقة, وتطالب بالإصلاح, وإعطاء العنصر العربيّ حقّه في الحكم في ظلّ الدّولة التّركيّة. وقد كان هذا المؤتمر مؤتمراً هامّاً, له تأثيره الكبير في الحركة القوميّة العربيّة, وفي تحديد مسارها المطالب بالانفصال عن الدّولة العثمانيّة. وقد كانت حلقة الشيخ طاهر هي الملهم الأول لهذه النشاطات والتحركات العملية([48]).

إنّ ظروف العصر الذي عاش فيه الشيخ طاهر كانت من السوء بحيث تغلّب الجهل والأمية والانحطاط, ورافقه الاستبداد والتسلط وسوء الإدارة, وهذا انعكس على مرافق الحياة كلها, سياسية واقتصادية وثقافية واجتماعية. فكان نشاط الشيخ طاهر مميزاً جداً ومؤثراً جداً, وكان كما وصفه الشيخ جمال الدين القاسمي (الشيخ المفيد, والمرقّي الوحيد)([49]).

وبالفعل فقد كان عالماً عاملاً واعياً لا أقول إنه سابق لعصره, بل كان الرجل القدوة لبلد يعاني

من موات حضاري خطير, «فترك أثراً من الخير أينما حل, فكان مجلسه حيثما حل مدرسة, ولقاؤه أينما لقيته درس ..... وكان يعلم بفعله لا بقوله, دعا إلى النظر في الكتب, فلم يكد يدع كتاباً لم ينظر فيه, ودعا إلى التأليف فكان له من التواليف ما عده من مكثري المصنفين, ودعا إلى حفظ الوقت, فلم يكن يضيع من وقته لحظة في عمل غير نافع, ودعا إلى ترك تلك المجاملات والرجوع إلى أخلاق المسلمين الأولين, من الصراحة والصدق, وقصد الحقائق وترك الأباطيل, فكانت حياته كلها كذلك»([50]).

وأثره هذا ظهر على طلابه ومريديه, فمن كان يحضر حلقة الشيخ طاهر من الشباب صاروا نخبة العرب علماً وثقافة وأدباً وعملاً. ولا نجد واحداً ممن كان يحضر اجتماعات تلك الحلقة إلا وقد ترك أثراً مفيداً في عصره, وكان له ذكره ومكانته كما رأينا. وهذا إن دل على شيء, فإنما يدل على نجاح أسلوب الشيخ طاهر, وعلى الأثر الكبير الذي خلّفه وراءه في نفوس هؤلاء الشباب.

ولولا تغلّب الاستعمار الأوروبي, ووقوع كثير من هؤلاء الرجال ضحية ثقتهم وانبهارهم بالغرب وحضارته, حتى إنهم ظنوا أن هؤلاء الغربيين يملكون من الأخلاق الحضارية ما يدفعهم للوفاء بعهودهم ومساعدة هذه البلاد الفتية على النمو والنهوض، لتكونت من جماعهم طبقة من النبهاء القدوة كانوا بداية لنهضة حقيقية كانت ستبني لبلادنا حضارة حقيقية قوية قائمة على العلم والعمل والمسؤولية والأخلاق الفاضلة المستمدة من ديننا وتراثنا الإنساني, ولتغير بالتالي هذا الحاضر البائس الذي نعيش فيه الآن.

وأنا مع الفكرة التي تقول أنه لا يجوز لنا أن نعامل «هؤلاء العاملين الثقافيين باحتقار, طالما كانوا عناصر مخلصة, لم تكتسب من التجربة التاريخية خبرة كافية, تمكّنها من فصل الحَبّ عن الزوان»([51]). وإنما يجب علينا أن نستفيد من تجربتهم وآرائهم, لنكون أكثر وعياً, ونكتسب الخبرة المطلوبة, لمعرفة طريق النهضة الصحيح والحقيقي, القائم على تغيير السلوك الانحطاطي الذي ينخر في جسد الأمة, وتحويله إلى سلوك نهضوي فاعل, يحافظ على هويتنا وحضارتنا, وينجو من مرض الاستلاب وعقدة النقص واحتقار الذات, هذه الأمراض التي أوقعتنا في فخ قبول ما فرضته الحضارة الغربية من خير وشر, دون النظر فيه, أو حتى امتلاك القدرة والجرأة على نقده وتقويمه لأخذ أحسن ما فيه ونبذ سيئه, بهدف المساهمة في نشر فضائلنا الخلقية والحضارية ليستفيد العالم منها كله.

خاتمة:

ما أحوجنا في عصرنا هذا لرجال قدوة كالشيخ طاهر الجزائري, يؤمنون بالإصلاح ويعملون له, بإخلاص ومسؤولية. وما أحوجنا لذلك النشاط الاجتماعي الفاعل, الذي يرقّي العقول والنفوس, ويخلّصها من عقدة الاستلاب للغرب, ويزرع فيها الاعتزاز بما نملك من حق وخير , ففضائل أخلاقنا المستمدة من الإسلام هي فضائل إنسانية عامة, لو عدنا لتفعيلها في حياتنا وفي تعاملاتنا فإننا سنصل للنهضة المرجوة. ولن يعم خير هذه النهضة علينا فقط, بل إنه سيصل للعالم كله بإذن الله.

والأمل كبير ببروز فئة واعية من المثقفين العاملين, تظهر على الساحة الآن, في وقت نعاني فيه من موات حضاري يماثل, إن لم يكن يفوق, الموات الحضاري الذي كانت تعاني منه الأمة في عصر الشيخ طاهر الجزائري.

فهرس المصادر والمراجع

1 . الأعلام, خير الدين الزركلي, بيروت, دار العلم للملايين, ط10, 1992/1412.

2 . الثورة العربية الكبرى, قدري قلعجي, بيروت, شركة المطبوعات للتوزيع والنشر , 1993م.

3 . السّابقون, قدري قلعجي, بيروت, دار العلم للملايين, 1954م.

4 . الفكر السياسي العربي في العصر الحديث, منير مشابك موسى, طرابلس, لبنان, مكتبة السائح, ط2, 1995م.

5 . المعاصرون, محمّد كرد علي, بيروت, دار صادر , ط2, 1413/ 1993.

6 . المؤتمر العربيّ الأوّل, تحرير محمّد كامل الخطيب, دمشق, منشورات وزارة الثّقافة, 1416/ 1996.

7 . بيت المقدس, نافذ خنيسة, المركز الفلسطيني للإعلام, كتب وإصدارات, www.palestine-info.info

8 . تاريخ علماء دمشق في القرن الرابع عشر الهجري, محمد مطيع الحافظ, ونزار أباظة, دمشق, دار الفكر , 1406/ 1986.

9 . جمال الدين القاسمي, ظافر القاسمي, دمشق, مكتبة أطلس, 1385/ 1965.

10 . جمعية العربية الفتاة السرية, دراسة وثائقية, سهيلة ياسين الريماوي, عمان, دار مجدلاوي, 1409/ 1988.

11 . دمشق مدينة السحر والشعر , محمد كرد علي, دمشق, دار الفكر , ط2, 1404 / 1984.

12 . ديوان مجد الإسلام, أحمد محرم , القاهرة, دار العروبة, 1383/1963.

13 . رجال من التاريخ, علي الطنطاوي, جدة, دار المنارة, ط8, 1411/ 1990.

14 . علماء دمشق وأعيانها في القرن الثالث عشر الهجري, محمد مطيع الحافظ ونزار أباظة, دمشق, دار الفكر, بيروت, دار الفكر المعاصر, 1412 /1991.

15 . فارس الخوري, محمد عنجريني, عن موقع رابطة أدباء الشام http://www.odabasham.net/.

16 . قضايا الإصلاح والنهضة عند محب الدين الخطيب, رغداء زيدان, بحث مخطوط.

17 . كنوز الأجداد, محمد كرد علي, دمشق, دار الفكر, ط2, 1404/ 1984.

18 . محاضرات القوميّة العربيّة, تأريخها وقوامها ومراميها, مصطفى الشّهابي, القاهرة, جامعة الدّول العربيّة, معهد الدّراسات العربيّة العاليّة, 1378/ 1959.

19 . معجم دمشق التاريخي, قتيبة الشهابي, دمشق, منشورات وزارة الثقافة, 1999م.

20 . معجم المؤلفين, عمر رضا كحالة, بيروت, دار إحياء التراث العربي, د.ت.

21 . نحو ثقافة تأصيلية, محمد شاويش, دمشق, دار نينوى, 1427/ 2007.

22 . والدي السّلطان عبد الحميد الثّاني, عائشة عثمّان أوغلي, نقله إلى العربيّة صالح سعداوي صالح, عمّان, دار البشير, 1411/1991.

الدوريات:

1 . «زهد الشّيخ طاهر الجزائري», محب الدّين الخطيب, في الزّهراء, 3 (رجب, 1345), 464. 465.

2 . «صالح قنباز الشّهيد السّعيد», محب الدّين الخطيب, في الزّهراء, 2 (رجب, 1344), 420.

3 . «مع روّاد اليقظة القوميّة», سهيلة ياسين الريماوي, في البحث التّاريخي, 3 (1404/ 1984) 31.

4 . «نهضة العرب للاضطلاع برسالتهم», محب الدّين الخطيب, في الفتح, العدد 823 (جمادى الآخرة, 1364هـ), 363.

الحواشي

(1) الفكر السياسي العربي في العصر الحديث, منير مشابك موسى, طرابلس, لبنان, مكتبة السائح, ط2, 1995م, 195

(2) المدرسة الجقمقية, أنشأها سيف الدين جقمق سنة 824هـ/ 1421م, في العصر المملوكي, وكانت مدرسة مهمة خرّجت نوابغ من الطلاب, حتى ألغيت سنة 1305هـ, وأبدلت بمكتب عنبر. حولت سنة 1975م إلى متحف للخط العربي, ولا يزال مبناها قائماً في زقاق الكلاسة, إلى يمين الخارج من الجامع الأموي؛ انظر, معجم دمشق التاريخي, قتيبة الشهابي, دمشق, منشورات وزارة الثقافة, 1999م,2, 176.

(3) عبد الرحمن البوشناقي, قدم من الأستانة سنة 1277هـ, بوظيفة معلم أول في المدرسة الجقمقية, فانتفع به كثير من طلاب العلم. كان صاحب عبادة, حسن الأسلوب في التعليم, توفي أواخر رمضان 1291هـ / 1874م, ودفن في مقبرة الباب الصغير؛ انظر, علماء دمشق وأعيانها في القرن الثالث عشر الهجري, محمد مطيع الحافظ ونزار أباظة, دمشق, دار الفكر, بيروت, دار الفكر المعاصر, 1412هـ / 1991م, ج2, 701 . 702.

(4) عبد الغني بن طالب الغنيمي الحنفي الشهير بالميداني, ولد في دمشق سنة 1222هـ / 1807م, في بيت علم ودين. طلب العلم بجد, وتردد إلى الحجاز وأخذ من علمائها, له مؤلفات عديدة منها: اللباب في شرح الكتاب, وتحفة النساك في فضل السواك, ورسالة في الرسم وشرحها, وكشف الالتباس عما أورده البخاري على بعض الناس, وغيرها. له قصائد كثيرة. كان ذا فضائل معروفة, وكان من كبار العلماء المحققين والفقهاء الصالحين, لا يحب الشهرة, فلم يرغب في المناقشة في المجالس الحافلة. يساعد الفقراء ويجالسهم. وكان له ولع في زيارة المعاهد والمشاهد. توفي في دمشق 4 ربيع الأول سنة 1298هـ/ 1881م, ودفن في جامع الدقاق, ونظم الشيخ عبد الرزاق البيطار أبياتاً كتبت على لوحة قبره يقول فيها:

همام فاضل شهم إمام ... جليل ذو مقامات شريفه
فوا أسفا قضى عبد الغني ... سريعاً نحبه ونجا حليفه
ثوى في رمسه فاعجب لرمس ... حوى بحراً شمائله منيفه
بكاء قد أتى تاريخه زد ... لقد ماتت علوم أبي حنيفه

انظر, المصدر نفسه, ج2, 768 وما بعد.

(5) ذكر محمد كرد علي عن حادثة 1860م, فقال: "خلاصتها قيام رعاع المسلمين والدروز على نصارى دمشق وقتلهم ونهبهم وإلقاء النار خمسة أيام في حيهم حتى خرب كله, وكانت هذه المذابح من قبل في لبنان وهلك في دير القمر وزحلة ووادي التيم ألوف النصارى بيد جيرانهم الدروز".اهـ؛ انظر, دمشق مدينة السحر والشعر, دمشق, محمد كرد علي, دار الفكر, ط2, 1404/ 1984, 38؛ وانظر, كنوز الأجداد, المؤلف نفسه, دمشق, دار الفكر, ط2, 1404 / 1984, 9.

(6) كنوز الأجداد, محمد كرد علي, 13 و 18.

(7) الجمعية الخيرية, جمعية اجتماعية علمية أسسها جماعة من علماء دمشق, سنة 1294هـ, كان هدفها نشر التعليم ومحاربة الأمية, وإصلاح المجتمع؛ انظر, كنوز الأجداد, محمد كرد علي, 9؛ وانظر, تاريخ علماء دمشق في القرن الرابع عشر الهجري, محمد مطيع الحافظ, ونزار أباظة, دمشق, دار الفكر, 1406هـ/ 1986م, 1, 367. 368.

(8) مدحت باشا, 1238. 1301/1822 . 1883. ولد في اسطنبول, وكان أبوه قاضياً. تعلّم العربيّة والفارسيّة, وتقلّب في الوظائف فكان والياً على الدّانوب وعلى بغداد. أصدر الدّستور العثمّاني أواخر عام 1293 / 1876, ثمّ ضيّق عليه فسافر إلى أوروبّا, ثمّ عيّن والياً على الشّام, ونقل منها إلى أزمير حيث أُعتقل وحوكم متّهماً بالمشاركة في قتل السّلطان عبد العزيز, وحكم عليه بالإعدام, ثمّ اكتفى السّلطان بنفيه إلى قلعة الطّائف بالحجاز, وفيها بعد بضع سنوات قُتل بأمر السّلطان؛ انظر, الأعلام, خير الدّين الزّركلي, بيروت, دار العلم للملايين, ط10, 1412/1992, 6, 195.

(9) انظر, الأعلام, خير الدّين الزّركلي, 3, 222؛ والمعاصرون, محمّد كرد علي, بيروت, دار صادر, ط2, 1413/ 1993, 268؛ وكنوز الأجداد, المؤلف نفسه, 9و30.

(10) تاريخ علماء دمشق في القرن الرابع عشر الهجري, محمد مطيع الحافظ, ونزار أباظة, 1, 367. 368.

(11) دار الكتب الظّاهريّة, تأسست سنة 1296/ 1879, على يد الشّيخ طاهر الجزائري, وهي دار عامّة للكتب تحوي مخطوطات كثيرة, وكتباً مفيدة. وكانت تعدّ من المكتبات الهامّة إلى وقت قريب, غير أنّ كثيراً من محتوياتها قد نُقل إلى مكتبة الأسد الوطنيّة بعد ذلك؛ انظر, كنوز

الأجداد, كرد علي, محمّد, 9.

(12) المكتبة الخالديّة, أوقفها الحاج راغب الخالدي سنة 1900م، إنفاذاً لوصية والدته، وبمعونة ومشورة الشّيخ طاهر الجزائري, والشّيخ ابن الحبال الدّمشقي، فوضعا فهرساً بأسماء كتبها. تحتوي المكتبة على عشرة آلاف كتاب ثلثاها مخطوط، والثلث من نوادر المطبوعات القديمة في العلوم العربية والإسلامية. وضمّت إليها خزانتا الشّيخ يوسف ضياء باشا الخالدي، ومحمّد روحي الخالدي، وضمّت إليها لاحقاً خزانة الشّيخ أحمد بدوي الخالدي، بالإضافة إلى ما أهدي إليها من نفائس مطبوعات المستشرقين؛ انظر, بيت المقدس, نافذ خنيسة, المركز الفلسطيني للإعلام, كتب وإصدارات, www.palestine-info.info.

(13) تاريخ علماء دمشق في القرن الرابع عشر الهجري, محمد مطيع الحافظ, ونزار أباظة, 1, 371.

(14) محب الّدين الخطيب, (1303 - 1389 / 1886 - 1969), ولد في دمشق, وتعلم بها وبالأستانة, وشارك في إنشاء جمعية النهضة العربية, عمل في تحرير المؤيد. وعندما أعلنت في مكة الثورة العربية عام 1916م قصدها وحرر جريدة القبلة وحكم عليه الأتراك بالإعدام غيابياً. ولما جلا العثمانيون عن دمشق، عاد إليها 1918م, وتولى إدارة جريدة العاصمة. وفر بعد دخول الفرنسيين فاستقر في القاهرة, وعمل محرراً في الأهرام. وأصدر مجلتيه الزهراء و الفتح وكان من أوائل مؤسسي جمعية الشبان المسلمين. وتولى تحرير مجلة الأزهر ست سنوات, وأنشأ المطبعة السلفية ومكتبتها ، أشرف على نشر عدد كبير من كتب التراث. ونشر من تأليفه «اتجاه الموجات البشرية في جزيرة العرب» و «تاريخ مدينة الزهراء بالأندلس» و «ذكرى موقعة حطين» و «الأزهر، ماضيه وحاضره والحاجة إلى إصلاحه» و «الرعيل الأول في الإسلام» و «الحديقة» وغيرها؛ انظر, قضايا الإصلاح والنهضة عند محب الدين الخطيب, رغداء زيدان, بحث مخطوط.

(15) «زهد الشّيخ طاهر الجزائري», محب الدّين الخطيب, في الزّهراء, 3 (رجب, 1345), 464. 465.

(16) وكذلك ذكر محمد كرد علي وهو أيضاً من تلاميذ الشيخ طاهر, من أن صديق الشيخ الأستاذ أحمد زكي باشا طلب منه أن يوقع على طلب وهو يتعهد له براتب جيد من الأوقاف المصرية فتنصل واعتذر, ولما اشتد صديقه في تقاضيه ذلك انتهره حتى قال الأستاذ زكي باشا لو كنت أعتقد أن رجلاً يعيش من تحت السجادة لاعتقدت ذلك في الشيخ طاهر, لأنه يقيم في بلد كمصر يشكو فيه الأغنياء من الغلاء؛ انظر, كنوز الأجداد, محمد كرد علي,17

(17) تاريخ علماء دمشق في القرن الرابع عشر الهجري, محمد مطيع الحافظ, ونزار أباظة, 1, 380.

(18) ذكر الأستاذ محمد كرد علي كثيراً من هذه الصفات في كتابه كنوز الأجداد تحت عنوان (غريب عاداته), من ذلك أن الشيخ «كان كثيراً ما يلبس قميصين وزوجين من السرويلات وقفطانين وصدرتين وجبتين, ليكون على أتم استعداد لما يطرأ على أحد الزوجين فينبذه حالاً, ويستعيض عنه بأخيه, دون انتظار شيء آخر» [ومثل هذه العادات رغم طرافتها فإنها تدل على عدم اهتمام الشيخ إلا بما يراه مفيداً, وكان يرى أن هذه الأمور تأخذ وقتاً من الأفضل صرفه بما هو أكثر فائدة]؛ انظر, كنوز الأجداد, محمد كرد علي, 9 . 46؛ وانظر, تاريخ علماء دمشق في القرن الرابع عشر الهجري, محمد مطيع الحافظ, ونزار أباظة, 1, 366 . 380.

(19) رجال من التاريخ, علي الطنطاوي, جدة, دار المنارة, ط8, 1411هـ / 1990م, 377.

(20) ديوان مجد الإسلام, أحمد محرّم, القاهرة, دار العروبة, 1383/ 1963, المقدّمة بقلم السّيّد محب الدّين الخطيب, 6.

(21) جمال الدين القاسمي, ظافر القاسمي, دمشق, مكتبة أطلس, 1385هـ / 1965م, 425.

(22) محمّد كرد علي, ولد في دمشق عام 1293/ 1876، وهو رئيس المجمع العلميّ العربيّ بدمشق ومؤسسه، صاحب مجلّة المقتبس. هاجر إلى مصر، وقام بتحرير مجلة الظّاهر, وعمل في المؤيّد، وولي وزارة المعارف مرّتين، من كتبه: خطط الشّام, الإسلام والحضارة العربيّة, كنوز الأجداد, والمعاصرون, وغيرها. توفّي 1372/ 1953؛ انظر, الأعلام, خير الدّين الزركلي, 6, 202 . 203.

(23) كنوز الأجداد, محمد كرد علي, 12.

(24) المصدر نفسه, من رسالة الشيخ طاهر إلى تلميذه محمد كرد علي, وهي مؤرخة في غرة جمادى الأولى من عام 1337هـ,35.

(25) عبد الحميد بن عبد المجيد بن محمود الثّاني, ولد سنة 1269/ 1842, وتولّى الحكم سنة 1293 / 1876, وخُلع سنة 1327/1909, نُفي إلى سلانيك, وتوفّي في قصر

بكلربكي في استانبول سنة 1337/ 1918. اختلف فيه النّاس فبعضهم وصمه بالاستبداد والتّسلّط, وآخرون اعتبروه حاكماً جيّداً. ولكنّ الظّروف لم تساعده على حفظ ملكه, لأنّ المؤامرات الّتي حيكت ضدّه كانت كبيرة . عُرف بالذّكاء والدّهاء, ولم يرضخ لمطالب اليهود في فلسطين. وبعد وفاته نظم الشّاعر رضا توفيق, وهو من كبار أعضاء جمعيّة الإتحاد والتّرقّي الّذين ثاروا على السّلطان, قصيدة, قال فيها:

قلنا إنّ السّلطان ظالمٌ وإنّ السّلطان مجنون قلنا لا بدّ من الثّورة على السّلطان
وصدّقنا كلّ ما قاله لنا الشّيطان وعملنا على إيقاظ الفتنة

[طبعاً لا يخفى على القارئ أن الشعر مترجم ترجمة غير شعرية]؛ انظر, والدي السّلطان عبد الحميد الثّاني, عائشة عثمّان أوغلي, نقله إلى العربيّة صالح سعداوي صالح, عمّان, دار البشير, 1411 / 1991, 11.

(26) الفكر العربي في العصر الحديث, منير مشابك موسى, 196 . 197.

(27) انظر, كنوز الأجداد, محمد كرد علي, 44؛ وانظر, الفكر العربي في العصر الحديث, منير مشابك موسى, 198.

(28) يقول محمد كرد علي: «أعطاني في آخر عمره [يقصد الشيخ طاهر] مسودة كتاب طويل كتبه إلى صديقته المستشرقة الفاضلة المس بل أمينة سر حاكم العراق وفيه: ..... لما كنت أعتقد أن أحسن من يخلص له العرب الود هو دولة بريطانيا العظمى لما خبرته من الأحوال ومقتضيات الأمزجة ونحو ذلك. والمودة لما كانت واجبة أن تكون من الطرفين اقتضى الأمر أن يقع التفاهم بينهما ليستمر هذا الأمر, فرأيت أنه ينبغي لانكلترا العظمى أن تعتني بأمور:

1 . الأمر الأول: أن تؤسس في كل بلدة كبيرة ديواناً شبيهاً بالرسمي لتأخذ الأخبار المتعلقة بما يحبه العرب, لتساعد عليه بقدر الإمكان. والذين يعينون ينبغي أن يكونوا من أعظم الناس معرفة بأمزجة العرب ممن تلقوا بذلك عن مثل حضرتك الكريمة.

2 . الأمر الثاني: أن تعتني بأمر اللغة العربية, ويظهر منها السعي في نشرها كما يظهر منها ذلك في اللغة الانكليزية.

3 . الأمر الثالث: الاعتناء الزائد في المساعدة على نشر العلوم على وجه يساعد عليه الحال والزمان.

4 . الأمر الرابع: مراعاة عوائدهم وعدم الحط من كرامتهم لاختلاف العادات, فإنه قد بلغني أنه كان يقع في البصرة والعراق وغيرهما من بعض المأمورين تسلط. وهذا مضر جداً, لا يشعر بمضرته إلا بعد أن يشتد الحال, ويعسر زوال ما في النفس. والعربي أهمّ شيء عنده عدم الهوان.

5 . الأمر الخامس: تسهيل أمر تجارتهم. وتسهيل أمر التجارة معهم بحيث يظهر ذلك. وتدريبهم على ما ينفعهم ولا يضركم.

6. الأمر السادس: الاعتناء بعدم مس الشعائر الدينية, على وجه أقوى من الحالة السابقة. ومما يؤيد ذلك منع أمر المسكرات ونحوها, وتوابع ذلك.

7 . الأمر السابع: تدريبهم على ما يحتاجون إليه من أمور اقتصادية, أو غيرها أي شيء كان.

وإني أرى هذه الأمور إذا تمت هكذا تكون النتيجة حسنة جداً. ويشتد التلاؤم بين الفريقين, فإن العرب أقرب الناس إلى شكر النعمة .... في يوم عيد الفطر سنة 1337هـ / الأحد 1 شوال, في مصر, في جهة عابدين. المخلص للأمة العربية, والدولة البريطانية العظمى, طاهر الجزائري؛ انظر, كنوز الأجداد, محمد كرد علي, 44 . 46.

[وهذه الرسالة تدل دلالة واضحة على حسن ظن الشيخ طاهر بالانكليز, واعتقاده أنهم كانوا صادقين يبغون صلاح الأمة بالفعل].

(29) نهضة العرب للاضطلاع برسالتهم, محب الدين الخطيب, في الفتح, العام السابع عشر, العدد 823 (جمادى الآخرة, 1364هـ), 363.

(30) الثورة العربية الكبرى, قدري قلعجي, بيروت, شركة المطبوعات للتوزيع والنشر, 1993م, 52.

(31) السّابقون, قدري قلعجي, بيروت, دار العلم للملايين, 1954م, 25.

(32) جمال الدين القاسمي, ظافر القاسمي, 20 وما بعدها.

(33) الأعلام, خير الدّين الزركلي, 3, 351؛ وانظر, تاريخ علماء دمشق في القرن الرّابع عشر الهجري, محمّد مطيع الحافظ, ونزار أباظة, 1, 340.

(34) معجم المؤلفين, عمر رضا كحالة, بيروت, دار إحياء التراث العربي, 4, 243 . 244.

(35) الأعلام, خير الدين الزّركلي, 3, 30.

(36) المصدر نفسه, 3, 555.

(37) المصدر نفسه, 3, 288.

(38) معجم المؤلفين, عمر رضا كحالة, 4, 239. 250.

(39) فارس الخوري, محمد عنجريني, عن موقع رابطة أدباء الشام .http://www.odabasham. net/.

(40) معجم المؤلفين, عمر رضا كحالة, 6, 217.

(41) محاضرات القوميّة العربيّة, تأريخها وقوامها ومراميها, مصطفى الشّهابي, القاهرة, جامعة الدّول العربيّة, معهد الدّراسات العربيّة العاليّة, 1378 / 1959, 53.

(42) «نهضة العرب للاضطلاع برسالتهم», محب الدين الخطيب, في الفتح, العام السابع عشر, العدد 823 (جمادى الآخرة, 1364هـ), 362.

(43) جمعية العربية الفتاة السرية, دراسة وثائقية, سهيلة الريماوي, عمان, دار مجدلاوي, 1409هـ / 1988م, 55.

(44) السّابقون, قدري قلعجي, 26.

(45) وقال السّيّد محب الدّين: «تألّفت في دمشق حلقةٌ صغيرةٌ من النّاشئة, تعاهدوا على أن يبيعوا أنفسهم لله والوطن، وأن يكونوا وقفاً على المصلحة العامّة. وكان من أركان هذه الحلقة شهيد اليوم الدّكتور صالح قنباز,... ومن تلك الحلقة أيضاً شهيد الأمس الأمير عارف الشّهابي, ... ومن الحلقة المذكورة أيضاً الأديب الفحل الدّكتور صلاح الدّين القاسمي, ... وكان المثل الأعلى لتلك الحلقة الصّغيرة وهي في أيام الدّراسة، أن تعمل مع العاملين على إنعاش روح العربيّة، وعلى

تحقيق فكرة الإصلاح الإسلاميّ». ويذكر السّيّد محب الدّين أنّ هذه الحلقة كانت في مدرسة دمشق الثّانويّة (مكتب عنبر) في عام1320 . 1321هـ؛ انظر, «صالح قنباز الشّهيد السّعيد», محب الدّين الخطيب, في الزّهراء, 2(رجب, 1344), 420.

(46) عارف الشّهابي, من أمراء الأسرة الشّهابيّة، ولد سنة 1306 / 1889 في حاصبيّا، وتلقّى دراسته الإعداديّة في دمشق وتابع دراسته في بيروت. سافر إلى الأستانة وحصل على الحقوق، احترف المحاماة، وشارك في إصدار جريدة المفيد، وكان من أعضاء العربيّة الفتاة فنفّذ فيه حكم الإعدام في 1334 / 1916. له كتاب تاريخ الإسلام, وقصائد وخطب؛ انظر, الأعلام, خير الدّين الزّركلي, 3, 246.

(47) « مع روّاد اليقظة القوميّة », في البحث التّاريخي, سهيلة ياسين الريماوي, 3 (1404/ 1984), 31.

(48) للاستزادة حول هذه الجمعيات انظر, قضايا الإصلاح والنهضة عند محب الدين الخطيب, رغداء زيدان, 256 . 275؛ وللاستزادة حول المؤتمر انظر, المؤتمر العربيّ الأوّل, تحرير محمّد كامل الخطيب, دمشق, منشورات وزارة الثّقافة, 1416/ 1996م.

(49) جمال الدين القاسمي, ظافر القاسمي, 427.

(50) رجال من التاريخ, علي الطنطاوي, 376.

(51) نحو ثقافة تأصيلية, محمد شاويش, دمشق, دار نينوى, 1427هـ / 2007م, 22.

فهرس

من هو طاهر الجزائري؟	5
أفكاره في السياسة والاجتماع:	7
حلقة دمشق الكبرى:	9
خاتمة:	15
فهرس المصادر والمراجع	16
الحواشي	19